سورة اللهب

دراسة في أعجاز القرآن الصوتي

عزة عدنان احمد عزت(*)

مما لا شك فيه أن للعرب إحساساً مرهفاً بموسيقى الكلام، "فقد تذوقوا الألحان بفطرتِهم واستعملوا الحداء لأسفارهم ... وكان الشعر العربي الموزون المقفى اثمنَ شيء يحرصون عليه"(١) فذوقهم رفيع في انتقاء المفردات المنسجمة أصواتها في كلامهم،" فللأصوات قيمةٌ مستقلةٌ بغض النظر عن مهمتِها التوصيلية"(٢)، ولا جرم أن المعنى الواحد يعبرُ عنه بألفاظٍ متعددةٍ وتراكيبَ مختلفةٍ(٣)، ولكن التناسبَ اللفظي الصوتي الفريد في القرآن يمنعُ أن توضعَ كلمةٌ بدل أخرى حتى وأن كانت مرادفةً لها في المعنى، لأنها لن تؤدي دقةَ المعنى ومقدارَه ذاته. بل سوف تؤدي إلى تغيرِ الدلالةِ وعدمِ الارتقاءِ بها إلى ما هي عليه من إعجاز فضلاً عن أن تركيب حروفِ المترادفاتِ هذه لا يفي بالغرض الصوتي

(*) مدرس مساعد - طالبة دكتوراه - قسم اللغة العربية - كلية الآداب / جامعة الموصل

بحث مشارك في المؤتمر العلمي السنوي لكلية الآداب ٣-٤ شعبان/ ١٤٢٣ هـ - ٩-١٠ تشرين الأول ٢٠٠٢م

(١) الظاهرة الجمالية في القرآن / نذير حمدان / ١٨٧.

(٢) التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثره في الإيقاع والدلالة / سامح رواشدة /١١.
(مجلة أبحاث اليرموك سلسلة الآداب واللغويات مجلد ١٦ عدد (٢) ١٩٩٨).

(٣) =: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / مصطفى صادق الرافعي / ٢٢٦.

في سياق الجملةِ القرآنية، فلا تنسجم مع التركيب القرآني في جرسه الداخلي أو إيقاعِه الخارجي[٤] الذي انتظمت أسباب الإعجاز فيه "من الصوت في الحرف إلى الحرف في الكلمة إلى الكلمة في الجملة"[٥]، وطريقة نظمه التي "تجري على استواء واحد في تركيب الحروف باعتبار من أصواتها ومخارجها وفي التمكين للمعنى بحس الكلمة وصفتها ثم الافتنان فيه بوضعها في الكلام، وباستقصاء أجزاء البيان وترتيب طبقاته على حسب مواقع الكلمات لا يتفاوت ذلك ولا يختل"[٦].

وتأسياً على ما تقدم تناولت في هذا البحث الإعجاز الصوتي للقرآن في سورةٍ من قصار السور (سورة اللهب) وحاولت كشفَ ذلك من خلالِ التغير في مستوياتِ اللغةِ، سواءً على نطاق المفردة، كالتغير الصوتي أو الصرفي أو المعجمي، أم على نطاق الجملة كتغيرِ التركيب النحوي. وردت السورة في خمس آيات قصيرة، تناولها في الدراسة من حيث الصوت، المقطع، النبر، التنغيم، الفاصلة،... آخذةً بنظر الاعتبار معاني المفردات المعجمية ومواقعَها وعلاماتِ إعرابِها ونظمِها ودلالةِ تركيبها النحوي في الجمل.

أولاً:- الصوت

تكونت السورة من (٨٤) حرفاً و (٨٤) صوتاً، وعلى الرغم من تطابق عدد الحروف وعدد الأصوات، إلا أن الاختلاف كائن في مطابقة الصوت للحرف الذي

---

(٤) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم/ ١٩١.

(٥) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية/ ٢٣٧.

(٦) م. ن / ٢٤٢.

يمثله، وذلك بسبب ما حدث في النطق من إدغام وتنوين وغنة ووصل وما شاكل، فتحول قسم من الأصوات "المرموز لها بأحرف أو علامات خاصة بها" إلى أصوات أخرى، ونطقت أصوات لم يرمز لها، والجدول الآتي يوضح ذلك:

الكلمة	موضع التغير	الصوت	السبب	رقم الآية
لهب	التنوين بعد الكسر	و	التنوين والغنة	١
نارا	التنوين بعد الفتح	ن	التنوين	٣
وامرأته	همزة الوصل	ـ	الوصل	٤
حمالة الحطب	همزة الوصل	ـ	الوصل	٤
حبل	التنوين بعد الضم	م	الإدغام	٥
من	ن	م	الإدغام	٥

كما تنوعت الأصوات الواردة في السورة من حيث المخرج والشدة والرخاوة والجهر والهمس والتفخيم والترقيق، واختلفت أعدادها ونسبتها، فتبين لي أن اكثر الأصوات وروداً هي كما يأتي: م/ ١٠، ب/ ١٠، هـ/ ٧، ل/ ٦، ت/ ٦، ن/ ٥. ولم يكن هذا محضُ صدفةٍ، ولكن، لان "لكلِ نوعٍ من الحروفِ والأصواتِ وظيفةٌ في تكوين المعنى وتثبيتِ أصلهِ وقراره وتنويع شكله وألوانه مع تناسق بين أصوات اللغة وأصوات الطبيعة، وتوافق بين الصورة اللفظية والصورة المعنوية المقصودة"[٧]، كما إن تكرارَ الصوتِ يهدفُ إلى تحقيقِ طاقةٍ صوتيةٍ إيقاعيةِ تؤثر في الجانب الدلالي.

(٧) خصائص العربية / محمد المبارك / ٢٥.

فالـ (ب) والـ (ت) من الأصواتِ الشديدةِ الوقتيةِ الآنية التي لا يمكن التغني بها وترديدها، لأنها تنتهي بمجرد زوال العائق وخروج الهواء[٨] وقد وردت الأصوات الشديدة (٢٤مرة) بنسبة تقارب ٢٩% من أصوات السورة، وهي أعلى نسبة، في حين وردت الأصوات الرخوة، وهي "أصوات استمرارية متمادة يمكن التغني بها واستمرار نطقها بلا انقطاع ما دام في الرئتين هواء"[٩]، (١٦ مرة) أي بنسبة ١٩% وهذا يتناسب وموضوع السورة، التهديد والوعيد، فضلاً عن إن صوت الـ (ب) الانفجاري الشديد المتكون من "التقاء الشفتين ثم انفتاحهما فجأة فيسمع عند ذلك دوي وانفجار"[١٠]،الذي وقع في الفاصلة، قد اسهم أيضاً في تثبيت معاني السورة وتأكيدِها، ففيه نفخٌ يناسبٌ اللهبَ الذي يزدادُ بالنفخ، وعزز صوت الـ (م) الموحي بألم العذاب والأنين والمعاناة، وصوت الـ (ن)، حدة هذه الحال، فالميم "مؤاخية للنون، للغنة التي في كل واحد منهما تخرج من الخيشوم"[١١]، فكان الضيق كائن حتى في إخراج النفس من الأنف. وقد يكون في تكرار صوت الـ (ب) في الآية ست مرات، يقابله تكرار صوت الـ (م) في الآيتين الأخيرتين سبع مرات، ما يعطي دلالة حصر الأصوات بهذين الصوتين بهذه الأعداد الكبيرة، ومن ثم فهو يؤكد المعاني السابقة، ولتوضيح هذا نورد توزيع الأصوات في الآيات.

(٨) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي / رمضان عبد التواب / ٤١.

(٩) م. ن / ٤١.

(١٠) فقه اللغة / كاصد ياسر الزبيدي / ٤٤٢.

(١١) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة / أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي / ٢٠٦.

الآية	ب	ت	ي	د	آ	أ	ل	هـ	ن	و	المجموع		
الأولى	٦	٣	٢	١	١	١	١	١	١	١	/١٨		
الآية	آ	م	ن	هـ	ب	أ	ل	و	غ	ع	ك	س	/١٩
الثانية	٤	٣	٢	٢	١	١	١	١	١	١	١	١	
الآية	آ	ن	ل	ب	ي	ت	هـ	س	ص	ذ	ر	/١٥	
الثالثة	٣	٢	٢	١	١	١	١	١	١	١	١		
الآية	م	ت	ل	ح	ب	آ	أ	هـ	و	ر	ط	/١٦	
الرابعة	٣	٢	٢	٢	١	١	١	١	١	١	١		
الآية	م	ي	د	ب	آ	ل	هـ	س	ح	ف	ج	/١٦	
الخامسة	٤	٢	٢	١	١	١	١	١	١	١	١		

وعند إمعان النظر في الأصوات الواردة في السورة نرى ورود الأصوات المجموعة في كلمة (يرملون) بنسب عالية وهي (م/١٠ ، ل/٧ ، ن/٥ ، ي/٥ ، و/٣ ، ر/٢) وميزة هذه الأصوات أنها عند مجاورتها الأصوات الأخرى تجعل السمع يستسيغها ولا يتعسر النطق بها، وفي هذا إيحاء لطيف إلى وجود تقابل بين شدة العذاب ووقعه على أبي لهب وامرأته، وبين سهولة تنفيذه، فالله لا يعجزه شيء، يؤيد هذا أن أصوات الأطباق (ض. ط. ظ. ص) قد وردت بنسب قليلة، وهي تتطلب للنطق بها وضعاً خاصاً للسان يحمل المتكلم بعض المشقة إذا ما قيست بنظائرها من غير المطبقة مثل (د. ت. ذ. س) والجدول الآتي يوضح ذلك:-

المطبقة	العدد	غير المطبقة	العدد
ض	٠	د	٣
ط	١	ت	٦
ظ	٠	ذ	١
ص	١	س	٣

ثانياً:-المقطع

هو مزيج من صامت وحركة يتفق مع طريقة اللغة في تأليف بنيتها ويعتمد على الإيقاع التنفسي، فكل ضغطة من الحجاب الحاجز على الهواء الرئتين أن تنتج إيقاعاً يعبر عنه مقطع مؤلف في اقل الأحوال من صامت وحركة[١٢]. ومن خلال التقطيع الصوتي لمفردات آيات السور، وجدت أن السورة قد جاءت كلُها من مقاطعَ ثلاث وهي من المقاطع التي توجد وتتوزع بحرية في بداية الكلمة وفي منتصفها وفي آخرها، فلا توجد أية قيود على نوعية الصوامت والصوائت التي تتألف منها[١٣]، وهذه المقاطع هي:

١- المقطع القصير المفتوح (ص + ح) وقد ورد ٢٢ مرة في السورة.
٢- المقطع الطويل المفتوح (ص + ح + ح) وقد ورد ١٣ مرة في السورة.
٣- المقطع الطويل المغلق (ص + ح + ص) وقد ورد ١٧ مرة في السورة.

---

(١٢) المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي / عبد الصبور شاهين/ ٣٨.

(١٣) =: البنية المقطعية في اللغة العربية/ عصام أبو سليم/٤٥ مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عدد ٣٣ سنة (١١) تموز ١٩٨٧، المدخل إلى علم اللغة/ رمضان عبد التواب/ ١٠١ - ١٠٢.

الآية الأولى

تب بت يـ دا أ بي لـ هـ بن و تب
ص ح ص ص ح ص ص ح ص ص ح ح ص ح ص ح ص ح ص ح ص ح ص ح ص

الآية الثانية

ما أغـ نا عنـ هـ ما ل هـ و ما كـ سب
ص ح ح ص ح ص ص ح ح ص ح ص ص ح ص ح ح ص ح ص ح ص ح ص ح ص

الآية الثالثة

سـ يصـ لى نا رن ذا ت لـ هب
ص ح ص ح ص ح ص ح ح ص ح ص ص ح ح ص ح ص ح ص ح ص ح ص

الآية الرابعة

ومـ ر أ تـ هـ حمـ ما لـ تلـ حـ طب
ص ح ص ص ح ص ح ص ح ص ح ص ص ح ص ح ح ص ح ص ح ص ح ص ح ص

الآية الخامسة

في جيد د ها حبـ لمـ ممـ مـ سد
ص ح ح ص ح ح ص ح ص ح ح ص ح ص ص ح ص ص ح ص ص ح ص ح ص ح ص

ومن خلال هذا التقطيع نجد الأتي موضحاً في الجدول:

الآية	المقطع (ص ح)	المقطع (ص ح ص)	المقطع (ص ح ح)	المجموع
١	٥	٤	٢	١١
٢	٥	٣	٤	١٢
٣	٣	٣	٣	٩
٤	٦	٤	١	١١
٥	٢	٤	٣	٩
المجموع	٢٢	١٧	١٣	٥٢

أن إمعان النظر في هذه المقاطع يرينا أن مفردات السورة قد تألفت من "حروف لو سقط واحد منها أو أبدل بغيره أو أقحم معه حرف أخر كان ذلك خللاً بيناً، أو ضعفاً ظاهراً في نسق الوزن وجرس النغمة وفي حسن المسمع وذوق اللسان وفي انسجام العبارة وبراعة المخرج وتساند الحروف وافضاء بعضها إلى بعض"(١٤) فإبدال كلمة تبت بهلكت يرينا قوة الأولى وشدتَها بالنظر إلى مقاطِعها الصوتية قياساً بالثانية فمقاطع (تبت) مقطعان صوتيان مقفلان بصامت (ص ح ص) + (ص ح ص) والمقطع المقفل بصامت يرينا قوة الهلاك الذي حصل دونما حركة أو مقاومة أما مقاطع (هلكت) (ص ح) + (ص ح) + (ص ح ص) ففيها مقطعان منتهيان بمتحرك، مقابل ذلك نرى أن (يدا أبي لهب) تنتهي مقاطعها بـ (ص ح) = يـ ، (ص ح ح) = دا، (ص ح) = أ، (ص ح ح) = بي، (ص ح) = لـ، (ص ح) = هـ ، (ص ح ص) = بن، كلها متحركة إلا المقطع الأخير لأنه كان يتحرك ويعمل جاهداً لإيذاء الرسول وورود المقطع الأخير بصامت يعني انتهاء حركته وفعله.

ولو أبدلنا المفردة (لهب) في الآية الثالثة بالمفردة (لهيب) لكان الخلل واضحاً جلياً في:

١- فقدان الجناس في كنية أبى لهب في الآية الأولى وصفة النار في الآية الثالثة.

٢- تغير المقطع الصوتي، فالمفردة (لهيب) تتكون من المقطع (ص ح + ص ح ح ص) والمقطع الأخير فيها غير موجود في السورة كلها.

وكذلك في قوله تعالى (سيصلى ناراً) فسبحانه لم يستعمل سوف و "لفظ السوف عموماً يفيد البعد"(١٥)، بل استعمل (سـ) ليكون (أبو لهب) اقرب إلى

(١٤) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية/ مصطفى صادق الرافعي/ ٢١٧.

(١٥) =: معاني النحو/ فاضل صالح السامرائي/ ٤: ٤٠٤ _ ٤٠٥.

الصليان، فقصر المقطع في (سـ) وهو (ص ح) اسهم في إثبات هذه المدة الزمنية القصيرة، أما (سوف) المكون من مقطعين (ص ح ص + ص ح)، فهو أطول من الأول فيكون أبعد، ولذا يقال أن سوف أشد تراخياً في الاستقبال من السين"[١٦].

وأما استعمال (سيصلى) دون سيحرق، والصليان هو الحرق[١٧]، فلما تحمله المفردة (يصلى) من أصوات تشعرك بحدوث عملية الصلى، فصوت الـ (ص) الصارخ "يحقق قدراً معقولاً يمكن الإنسان من سماع الصوت"[١٨]، فضلاً عن انه من الأصوات القوية، لأنه مطبق مستعل، وقد جاء مفخماً[١٩]، ليبرز صوت صلي الجلود، وهذا هو المراد، من قوله تعالى (**كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها// آ: ٥٦ النساء**)، وقد اثبت العلم والطب أن عدد الخلايا الحسية في الجلد أضعاف عددها في مناطق الجسم الأخرى، فضلاً عن أن (سيحرق) مجهولة الفاعل، أما (سيَصْلى) فالفاعل فيها هو (أبو لهب)، انه هو من سَيُصلى نفسه النار وهذا أشد وأقوى أنواع العذاب، أن يختار المرء طريقة عذابه الشنيعة هذه، كما أن في صيغة (يُصْلى) وليس (يُصْلى) ما يؤكد ذلك أيضاً، فلا يكون اصل الفعل بين مزيد بهمزة التعدية (أَصلي) أو مبني للمجهول (أُصلِي)، فكلاهما مضارعه يصلى.

وكذلك لو أبدلنا المفردة (امرأته) بـ (زوجه) لخسرنا صوت الـ (م) الموحي بالمرارة المسهم في تصوير الألم، فضلاً عما في (زوج) و (امرأة) من اختلاف في

(١٦) =: تراكيب أبنية الجذور بصر رأي نظر في القرآن الكريم- دراسة دلالية/ عزة عدنان احمد عزت ٨٨/ رسالة ماجستير.

(١٧) مختار الصحاح/ الرازي/ ٣٦٨.

(١٨) التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثره في الإيقاع والدلالة/ ١١.

(١٩) =: الرعاية/ ١٠٠ و ١٨٩.

القرآن الكريم، الذي وقع فيه الأخبار عن أهل الإيمان بلفظ الزوج وعن أهل الشرك بلفظ المرأة[٢٠].

وكذلك لو أبدلنا المفردة (مسد) – بـ (ليف)، فالمسد: الليف الممسد المفتول المتخذ من جريد النخل أو جلود الإبل أو اوبارها[٢١]، فأننا:-

١- سوف نخسر القلقلة في صوت الـ (د) المتكررة مع صوت الـ (ب).

٢- نوقع الخلل في إيقاع وموسيقى السورة، فالمفردة (ليف) مقطعها (ص ح ح ص) وهو غير موجود في السورة كلها، فضلاً عن كون المفردة (مسد) توحي بمعنى الشيء المسدود المغلق[٢٢]، وكأنها بهذا تعطي معنى الحصر وعدم الفرار.

أما لو أبدلنا تركيب الآيات نحوياً، فلاحدثنا الخلل الأكبر في المعنى والإيقاع والفاصلة وغيرها ومن ثم فقدنا الإعجاز والإيقاع الذي يوحي بجو السورة والمعنى العام[٢٣]، فالآية الأولى (تبت يدا أبي لهب وتب) عند تغيرها إلى "تب أبو لهب وتبت يداه" نجد أن:

١- مفردة يداه مقاطعها (ص ح + ص ح ح ص) والمقطع الأخير غير موجود في السورة كلها.

٢- الفاصلة ستختلف وسنفقد صوت الـ (ب).

---

(٢٠) =: ابن القيم وحسه البلاغي/ عبد الفتاح لاشين/ ١٢٨.

(٢١) معجم مفردات ألفاظ القرآن/ الراغب الأصفهاني/ ٤٨٨و المعجم الوسيط/ مجمع اللغة العربية/ ٢: ٨٧٥.

(٢٢) المعجم الوسيط ١: ٤٢٤.

(٢٣) الإعجاز الفني في القرآن / عمر السلامي ٢٥٧ و ٢٣٥.

٣- المعنى سيتغير وسيكون التركيز على ذات (أبو لهب) وليس على يديه والمقصود في الآية (يداه) لأنهما تعطيان معنى قوته وعمله وهما المقصودان، كما أن في تقديم "تباب اليدين على تباب الذات إيحاء لطيف إلى أن ذاتية الإنسان ليست شريرة خلقياً وإنما من جراء الأعمال غير الصالحة ولاسيما العامدة"[٢٤]،.

٤- وقد نرى أيضاً في تركيب الآية بإضافة اليدين إلى أبى لهب انه أصبح مجروراً بالإضافة، فكان علامات الأعراب والنحو تطابق الحال في أن يديه هما سبب جره إلى النار فهما الفاعل الحقيقي في ذلك، ولم يقع التركيب تب أبو لهب وتبت يداه، لكي لا يكون (أبو لهب) فاعلاً مرفوعاً، وبذا فلن يكون له أي اتصال بالرفع حتى وأن كان من باب أعراب الفاعل. وبذا نرى أن "الحركات الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيهيئ بعضها لبعض ويساند بعضها، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف مساوقة لها في النظم الموسيقى"[٢٥].

وكذلك الحال لو أبدلنا تركيب الآية (وامرأته حمالة الحطب) بـ وامرأته تحمل الحطب، فأننا:-

١- سنفقد صيغة المبالغة ودورها في تأكيد المعنى[٢٦].

٢- سنجد أن الموقع الأعرابي للحطب سيكون النصب فهو مفعول به، لكنه جاء

(٢٤) الفرقان في تفسير القرآن والسنة/ محمد الصادقي/ ٣: ٥٠٥.

(٢٥) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية/ ٢٢٧.

(٢٦) = : في سورة اللهب دراسة بلاغية، د. احمد فتحي رمضان/ ٢٠٥ مجلة اداب الرافدين العدد ٣١ سنة ١٩٩٨، كلية الاداب جامعة الموصل.

مجروراً ليعطي أبعاداً أخرى يصف فيها امرأة أبى لهب وهي تجره حالها حال البهائم التي تجر ما تجر وهي مربوطة بحبل في عنقها فضلاً عن "التناسق في جرس الكلمات مع الصوت الذي يحدثه شد أحمال الحطب وجذب العنق بحبل من مسد... نجد فيها عنف الحزم والشد الشبيه بحزم الحطب وشده، والشبيه كذلك بغل العنق وجذبه والتشبيه بجو الحنق والتهديد الشائع في السورة"[٢٧].

و (في) وأن كانت قد تعني (على) [٢٨]، إلا أنها هنا بمعناها أبلغ لأعطاء معنى تمكن وثوق الحبل من العنق، فكأنه لشدته، داخل فيه، فضلاً عن أن (في) مكونة من مقطع صوتي واحد (ص ح ح) وعلى من مقطعين (ص ح + ص ح ح) وهذا له دلالته أيضاً، فالأول يعطي معنى السرعة والاقتراب في العذاب والثاني يوحي بأنه أبعد وإبطا.

ومن العجيب أيضاً أننا إذا نظرنا من زاوية هندسية إلى السورة نرى أشكالاً متعددة تعطي دلالات وأبعاداً متنوعة، فمن ذلك مثلاً عدد الأصوات في السورة التي يمكن ترتيبها تصاعدياً بهذا الشكل الذي نرى من خلاله

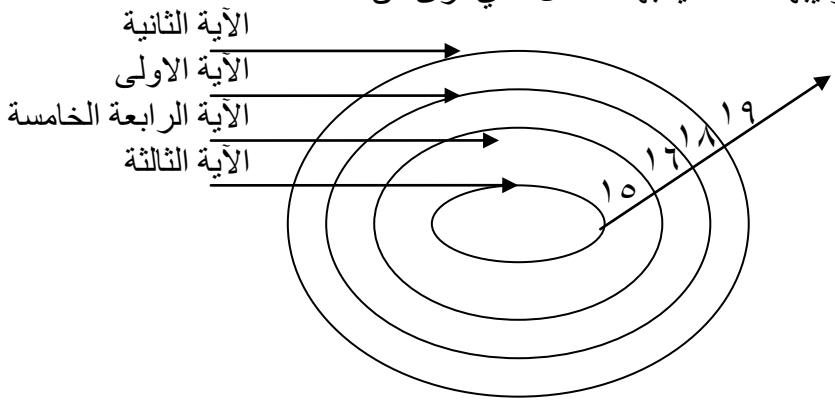

(٢٧) في ظلال القرآن / سيد قطب/ ٣٠: ٢٨٣.

(٢٨) معاني النحو/ ٣: ٥٧.

١- أن الآية الثالثة وهي الوسطى في السورة، قد احتلت المركز في المخطط، وفيها تساوى عدد المقاطع الثلاثة فضلاً عن أنها الوحيدة التي فيها الفعل المضارع الوحيد في السورة (يصلى). وقد ورد صوت الـ (ل) فيه مفخماً وكذا صوتي الـ (آ) والـ (ر) في الآية نفسها في كلمة (ناراً) فاسهم في تعزيز معنى السورة وهدفها في إيضاح مصير أبي لهب وتعظيمه وجذب النظر إليه.

٢- الآية الثانية اكثر آيات السورة عدداً للأصوات، وهذا يناسب معنى الآية وينسجم معه، فهو يوضح الوسع الذي يملكه أبو لهب في الدنيا من نفوذ وجاه ومال وبنين، فجاءت الأصوات اكثر عدداً فيها من غيرها لتتفق وتناسب تلك السعة.

٣- الآية الرابعة والخامسة تخص امرأة أبي لهب لذا كانتا في دائرة واحدة لنكتة لطيفة وهي أن للذكر مثل حظ الانثيين.

أما عدد المقاطع الصوتية فتأخذ شكلاً هندسياً آخر له دلالات أخرى نمثله بهذا المخطط.

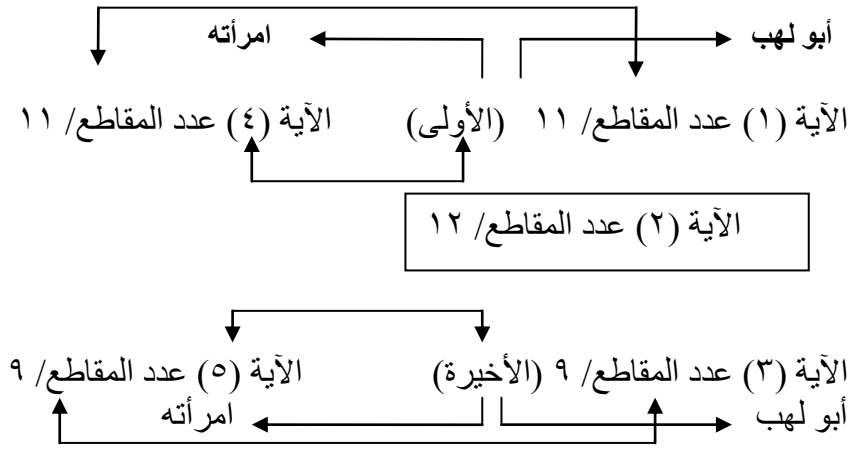

نرى من خلال هذا الشكل:

١- الآية الثانية اكثر الآيات عدداً في مقاطع الصوتية، وهذا يتفق مع ما ذكرنا سابقاً.

٢- الآية الأولى في السورة هي الأولى التي تخص (أبو لهب) متساوية عدد المقاطع مع الآية الرابعة في السورة وهي الأولى التي تخص امرأته.

٣- الآية الأخيرة في السورة هي الأخيرة التي تخص امرأته متساوية عدد المقاطع مع الآية الثالثة في السورة وهي الأخيرة التي تخص (أبو لهب).

٤- مجموع عدد المقاطع في الآيات التي تخص (أبو لهب) والتي تخص امرأته لم تختلف إلا بوجود الآية الثالثة – الوسطى – التي تخص (أبو لهب)، اكثر الآيات مقاطعاً صوتية في السورة... وفي هذا إيحاء لطيف بان الرجل أقوى وأشد إيذاء من المرأة.

ثالثاً:- النبر

هو إبراز أحد مقاطع الكلمة عند النطق وباختلاف موضع النبر من الكلمة تتميز اللهجات[٢٩]، ويتم تعيين النبر في اللغة بوساطة قواعد تشير بالدرجة الأولى إلى نوعية المقاطع التي تتكون منها الكلمة من حيث تركيبها الصوتي، أي من حيث عدد الصوامت وطول الصائت التي يتكون منها كل مقطع[٣٠]، وطريقة تعيين المقطع المنبور تعتمد على مقاطع المفردة، وقد لا تكون

(٢٩) المعجم الوسيط ٢: ٩٠٤، =: محاضرات في اللسانيات/ فوزي حسن الشايب/ ٢٤٦.

(٣٠) البنية المقطعية في اللغة العربية/ عصام أبو سليم/ ٤٦ (مجلة مجمع اللغة العربية الأردني).

الكلمة المكونة بنفسها فقط بل ربما اتصل بها اكثر من مقطع، كأن تكون على ثلاثة أو اكثر، لذا نجد انه[٣١]:-

١- إذا توالت عدة مقاطع مفتوحة يكون الأول منها منبوراً.
٢- إذا ضمت الكلمة مقطعين طويلين كان النبر على أولهما.
٣- إذا ضمت الكلمة مقطعاً طويلاً واحداً كان النبر عليه.

وعند تطبيق هذه القواعد على مفردات السورة لا حظنا أن النبر وقع على الجزء الذي احتوى صوت الـ (ب) بشكل لافت للنظر، ذاك انه ورد على المقاطع الثقيلة التي تجذب النبرة إلى جانبها، فالمقاطع الخفيفة لا تجذب النبرة إلا في حالة افتقاد المقاطع الثقيلة[٣٢].

ويتضح هذا في المخطط الآتي:

تبـ ـت أ بي لـ هـ بن و تب كـ سب لـ هب حـ طب حبـ لمـ

أن مجيء صوت الـ (ب) (١٠) مرات، ومجيء النبر في الكلمات التي احتوته، وكون الفاصلة كذلك منتهية به إلا الأخيرة فهي (د) وفي صوتي الـ (ب) و الـ (د) قلقلة كبرى، أوضح حالة الاضطراب والقلق وعدم الاستقرار التي يعاني منها (أبو لهب) وامرأته في الدنيا والآخرة.

(٣١) علم اللغة/ محمود فهمي حجازي/ ٤٨.
(٣٢) البنية المقطعية في اللغة العربية/ ٥٣.

رابعاً:- التنغيم

هو قرينة صوتية لا رمز لها، فهي نظام مركب من تنوع نغمي يعتمد العلو والانخفاض في أثناء الكلام(٣٣)، لبيان مشاعر الفرح والغضب والإثبات والتهكم والاستهزاء والاستغراب بمقتضى سياق الحال(٣٤).

وسورة اللهب لم تبدأ بـ (قل) لئلا يكون الرسول "صلى الله عليه وسلم" مشافها لعمه بالشتم والتغليظ، فللعم حرمه كحرمة الأب، والرسول "صلى الله عليه وسلم" مبعوث رحمة للعالمين وله خلق عظيم(٣٥)، وبذا كان في الآية على التنغيم **قولان:** أحدهما دعاء والأخر خبر(٣٦)، وقد يكون التباب الأول دعاء والثاني خبراً أو تقريراً لوقوع هذا الدعاء(٣٧).

وقيل أن (ما) النافية في الآية الثانية يجوز أن تكون استفهامية(٣٨)، يراد منها المعنى المجازي المتمثل في الإنكار والتوبيخ، فهو استفهام إنكاري توبيخي

(٣٣) =: مدخل إلى علم اللغة/ ٤٨ والتنغيم ودلالات التراكيب/ نوزاد حسن احمد/ ١٩٦ (مجلة الآداب والعلوم ـ جامعة قار يونس/ ليبيا ـ العدد الأول السنة الأولى ١٤٢٦هـ ١٩٩٧م).

(٣٤) =: التنغيم اللغوي في القرآن الكريم/ سمير إبراهيم وحيد العزاوي/ ٢٦ ومحاضرات في اللسانيات/ ٢٥٧.

(٣٥) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان/ إسماعيل حقي البروسوي/ ٤: ٦٠٩.

(٣٦) أعراب القرآن / أبو جعفر النحاس/ ٣: ٧٨٤.

(٣٧) =: التفسير الكبير/ الرازي ٣٢: ١٦٧، وفي ظلال القرآن ٣٠: ٢٨٢، وصفوة التفاسير ٣: ٦١٨.

(٣٨) التحرير والتنوير/ الطاهر بن عاشور/ ٣٠: ٦٠٤.

يكشف عما يمتلكه (أبو لهب) من عظيم نعمة وجاه ومكانة في الدنيا، وتعطي (ما) الاستفهامية معانيها هذه بالتنعيم، وإلا فان الجملة خبرية اعتيادية.

وقد وجدت من خلال رسم مخطط بياني لمقاطع آيات السورة الصوتية والنظر في مساحات النغمات، أن هناك اختلافاً في وحدات المساحات هذه، أشار إلى ضرورة أن تكون (ما) نافية وليست استفهامية فالآية الأولى احتوت (٩) وحدات والثانية كذلك أما الثالثة (٨,٢٥) والرابعة (٨) والخامسة (٤)، وهذا يشير إلى أن نبرة التحدي والقوة والتهديد والوعيد، إنما كانت متمثلة في الآيتين الأولى والثانية، لذا لم تبدأ السورة بـ (قل). ومن هذا المنطلق نجد أن الاستفهام سيكون بنغمة أوطأ من الافتتاح بالتباب، أما النفي ففيه قوة وحسم يتناسب ويتفق والآية الأولى، فضلاً عن أن الاستفهام يوحي بوجود أمل في النجاة فهو كأنه صادر من الإنسان يسأل: ألم تنفعه أمواله فتكون فدية؟ فيأتي الجواب: بالنفي: ما أغنى عنه ماله وما كسب، وكأن الاية الثانية (جاءت جواباً عن سوال اثارته الاية الأولى فبينهما قوة رابطة معنوية)[٣٩] فالاستفهام وان حوى الاستفهام والنفي إلا أن النفي لا يعطي أي مجال لهذا النوع من التوقف والأمل والرجاء، بل يأتي مكملا ما ابتدأ بنفس القوة... وبعد ذلك، نجد أَن النغمة تبدأ بالهبوط تدريجيا حتى تصل مساحة الوحدة في الآية الأخيرة (٤) وحدات فقط، وقد نجد في ازدياد مساحة الـ (٤/١) وحدة في الآية الثالثة إيحاء لطيفا بان قوة الرجل اكثر من قوة المرأة والرسم البياني يوضح ذلك:

(٣٩) في سورة اللهب دراسة بلاغية/ ٢٠٤.

رمز المقطع القصير | رمز المقطع الطويل المفتوح ——— رمز المقطع الطويل المغلق

وحدة المساحة المعتمدة .

الاية الاولى (٩) وحدات.

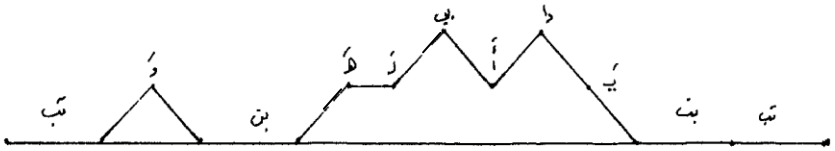

الاية الثانية (٩) وحدات

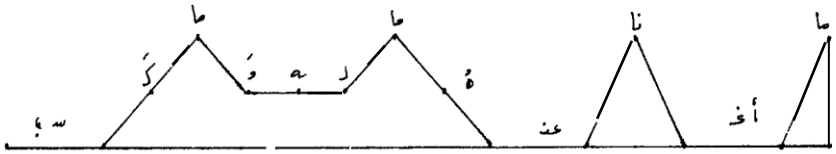

الاية الثالثة (٨ ١/٤) وحدات

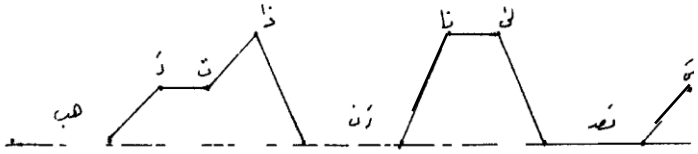

الاية الرابعة (٨) وحدات

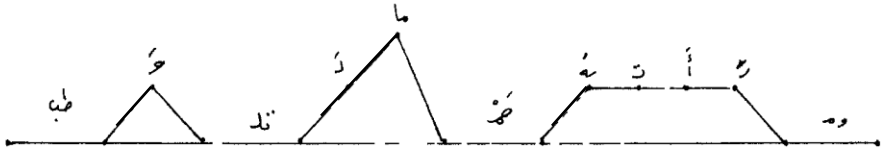

الاية الخامسة (٤) وحدات

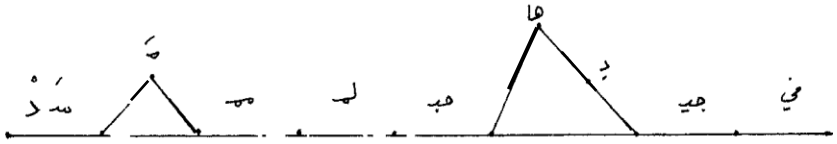

أن ورود التركيب (ما أغنى) بالفعل الماضي المنفي بـ (ما) وليس (لم يغن) بالفعل المضارع المنفي بـ (لم)، لان (ما) "تأتي ردا على قول أو ما نزل هذه المنزلة"[٤٠] وفيها توكيد اكثر من (لم)[٤١]، فالمنفي بها يكون في الغالب لنفي الماضي القريب من الحال، وأما (لم) فليست مقيدة بزمن من أزمنة المضي[٤٢]، وهذا يدل على أن المدة الزمنية بين كونه غنيا وبين عدمه قصيرة جدا، أي اقتراب موعد العذاب، ونجد امتداد صوت الألف في (ما) يسهم بامتداد معناها[٤٣]، فالمقطع الصوتي لـ (ما) هو (ص ح ح) و (لم) هو (ص ح ص) والأول مفتوح يدل على الاطلاق، ان استمرار النفي، فضلاً عن أن (ما أغنى) تفيد أن الآمر حدث وانقضى مرة واحدة فكان الغنى حدث مرة واحدة ولم يدم ولم يتكرر.

خامسا:– الفاصلة

الفاصلة هي "الكلمة التي تختم بها الاية، وبها يتم معناها ويزداد وضوحا وجلاء ففيها تفصيل توضيحي جمالي يضفي على معناها رواء بيانيا بديعا بما تؤديه من جرس صوتي ينسجم مع آياتها وسائر الآيات"[٤٤].

وردت السورة في خمس ايات، انتهت الفواصل الأربع الأولى منها بالصوت (ب) والأخيرة بالصوت (د) وعلى الرغم من ان هذين الصوتين

---

(٤٠) معاني النحو/ ٤: ٥٧١.

(٤١) م. ن./ ٤: ٥٦٩.

(٤٢) م. ن. / ٤: ٥٧٠.

(٤٣) بدائع الفوائد/ ابن قيم الجوزية/ ١: ٩٦.

(٤٤) الظاهرة الجمالية في القرآن / ٤١.

"مخارجهما متقاربة ولا نفرة بينهما في النطق"[٤٥]، الا ان هذا الانفراد والتغير اثار اليقظة والانتباه، وان كانت الفاصلة قد اختلفت في الصوت إلا أن المقطع الأخير في جميعها انتهى بالمقطع (ص ح ص) الطويل المقفل بصامت، فأضفى جوا من الحصر وعدم الفرار وهذا "الإيقاع المباشر الصامت والساكن يوحي غالبا بالقوة"[٤٦] ويدفع إلى التوقف القسري ليعني اكتمال البعد الآلي والدفع إلى التأمل في دلالة النهاية فكان "متابعة لصوت الجملة وتقطيع كلماتها"[٤٧] فضلاً عن أن "العرب إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون لأنهم أرادوا مد الصوت وتركوا ذلك إذا لم يترنموا"[٤٨] والحال هنا لا يسمح بالترنم إطلاقاً. والذي يلفت النظر أن السورة السابقة لسورة اللهب (سورة الفتح) انتهت فاصلتها الأخيرة بالصوت (ب) والسورة اللاحقة لسورة اللهب (سورة الإخلاص) ابتدأت وانتهت فواصلها بالصوت (د) فكانت هذه السورة مرتبطة موسيقيا بما قبلها وبعدها، والشكل الآتي يوضح ذلك:

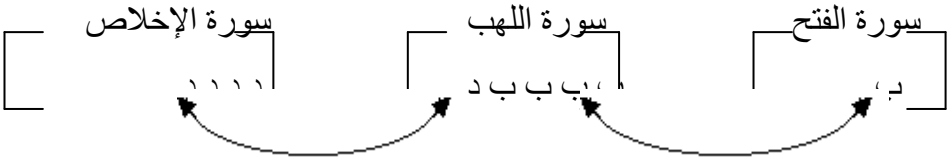

(٤٥) الفاصلة القرآنية/ عبد الفتاح لاشين/ ٩.

(٤٦) الظاهرة الجمالية في القرآن / ٤١.

(٤٧) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية/ ٢١٧.

(٤٨) الكتاب/ سيبويه/ ٢: ٢٩٨.

ولكن في سورة الفتح جاء صوت الـ (ب) في مقطع مفتوح، ليؤذن بإطلاق النصر وامتداده، وفي سورة اللهب في مقطع مغلق ساكن ليفيد الحصر كما ذكرنا، فسورة الفتح توضح ثواب المطيع في حصول النصر والفتح في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة وسورة اللهب توضح عقاب العاصي في الخسارة في الدنيا والعقاب العظيم في الآخرة.

وقد لاحظت أن الفاصلة والمقطع لا ينفكان عن بعضهما، فهما متداخلان في إظهار المعنى كثيرا، يتضح ذلك في قوله تعالى (سيصلى نارا ذات لهب) فقد وصفت النار بأنها (ذات لهب) دون (لاهبة) أو (ملهبة) مثلا، ولم يكن ذلك رعاية للفاصلة فحسب، ولكني وجدت أن عدد مقاطع (ذات لهب) أربعة، أما (لاهبة) أو (ملهبة) فهو ثلاثة، فأشار ازدياد المقاطع إلى ازدياد النار وفعاليتها، وفي ذكر اللهب تصوير وتشخيص للنار وإيحاء بتوقدها وتلهبها[٤٩]. فضلاً عن أن وصف النار بـ (ذات لهب) يفيد معنى مصاحبة اللهب لها ابد الدهر ومقصود منه وصف شدة النار بأشد ما يكون من الحرارة، لان النار قد تكون جمرا ثم تنطفئ[٥٠]. ولو أمعنا النظر في الفاصلة لرأينا أنها تتوج ما يسبقها فتناسب فحوى المعنى المراد، فـ (تب) تشمل تباب اليدين، و (ما كسب) توازي وتماثل (ما أغنى عنه ماله)، ولأنه ما أغنى عنه ماله، وما كسب فقد تب وهلك، و (ذات لهب) هي النار الموصوفة بمصاحبة اللهب لها، و (حمالة الحطب) هي امرأته ولما كانت كثرة الحطب تزيد اللهب فقد عادت حمالة الحطب على ذات اللهب لها، وأما (المسد)

(٤٩) الجناس في القرآن / أسماء سعود الخطاب/ ٥٩ رسالة ماجستير.

(٥٠) جماليات المفردة في القرآن / ٣١٧.

وهو الحبل المفتول الممد وقد عاد على جيدها لأنه لف حوله ويمكن إيضاح هذا بالمخطط الآتي:

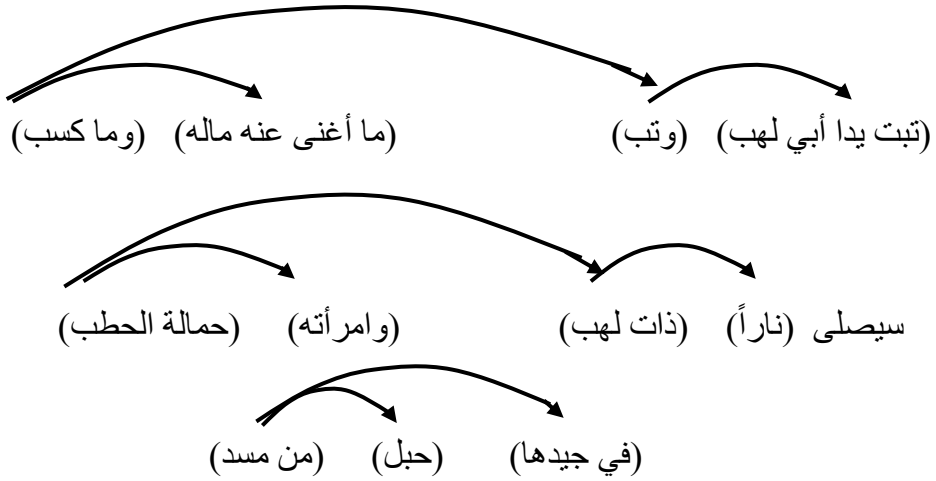

الخاتمة

كان من نتائج البحث ما هو مفصل في متنه وما هو عام، اذكره على تتابع وروده:

١- وردت الأصوات الشديدة في السورة بنسبة تقارب ٢٩% من أصواتها، وهي أعلى نسبة، لتناسب موضوع السورة: التهديد والوعيد.

٢- ارتبطت طريقة نطق الحرف المتكرر بكثرة، موضع السورة فورد صوت الـ (م) (١٠) مرات، فأوحى بالألم والأنين الناتجين عن العذاب، وورد صوت الـ (ب) (١٠) مرات، فناسب النفخ الذي فيه اللهب الذي يزداد بالنفخ، فضلاً عن القلقة الموجودة فيه، التي أفادت معنى الاضطراب والقلق الذي يعاني منه أبو لهب وامرأته.

٣- تبين لنا أن أي تغير في مفردات السورة إلى مرادفاتها (على الرغم من عدم وجود مترادفات تامة)، سيؤدي إلى تكون مقاطع جديدة غير موجودة في السورة، فضلاً على إعطاء المفردات هذه، بمقاطعها الصوتية، معاني ودلالات أوفر.

٤- أعطت الأشكال الهندسية المتعددة المتكونة من عدد الأصوات أو عدد المقاطع الصوتية، أبعاداً دلالية تنوعت وتعددت بتنوع الأشكال وتعددها.

٥- ترجيح ما اختلف فيه النحاة بوساطة المخطط البياني الذي اعتمد مقاطع المفردات الصوتية.

٦- إسهام مواقع المفردات من الأعراب في تعزيز معاني السورة بشكل لطيف جداً.

Abstract

Surrat al Lahab

A study of the Phonetic Miracle in the Holy Quran

Azza Ahmed Ezzat, A. L. [(*)]

This paper has tackled the study of Surrat al Lahab phonetically from the point of changes on the different levels of language. Variations on the two levels have been investigated. First on the lexical level as in the phonetic morphological and lexicographic change. Second on the sentence level as in the semantic, and grammatical structure change.

The study has proved that sounds have an independent value, regardless, of its communicative task. The unique phonetic proportion in the Holy Quran prohibits substitution of the lexical terms even in the case of synonymies. This is due to the

(*)Assistant Leeturer - College of Arts / University of Mosul.

fact that substitution will not lead to the precise meaning or its real value.

On the contrary, substitution leads definitely to a semantic change and loses its miracle. The structure of these synonymies as well may not achieve the phonetic purpose in the context of the Quranic sentence which leads to disharmony with the Quranic structure in its internal rhythem or external one.

The paper has found out many conclusions among which the followings.

The strong sounds occurred with high frequency to match the theme of the surrah which is threatening and frightening.

The occurrance of sounds contributes in supporting the semantic connotation of the surrah. (M) has occurred (10) times which denotes pain and moaning resulted from torture. (B) has occurred (10) times to match blowing which contains blaze that increases by the act of blowing.

The Qalqala is in harmony with the worry and unrest from which Abu Lahab and his wife suffer.

The attempt to change the lexical terms of the Surrah has led to form new syllables, not found originally in the text. Consequently, these terms with its phonetic syllables have given rich meaning and denotations.

The curve based on the phonetic terms has solved the controversial debates of grammarians.

The syntactic order of the terms contribute wonderfully in supporting the semantic meanings of the Surrah. The morphological analysis has been done in the same lines of the sounds and meanings. Each enhances the other.

From the architectural point of view, the verses of the Surrah through the number of its sounds or its phonetic syllables and their structural arrangements provide us with different architectural forms with numerous meanings contribute in supporting the ultimate meaning and its harmony inimitably.